يقوم بعملية تشريح اخرى تؤدي الى مزيد من التفاصل في اجزاء العملية الادبية . وهذه المهمة التي يقوم بها النقد انما تمهد لاعادة صياغة النموذج الادبي طبقا لرؤية جديدة ، وانطلاقا من تقويم معين .

واذ كنا قد ركزنا منذ البداية على ناحية المضمون (القيمة) فاننا سنحاول ، بقدر الامكان استقصاء خصائص وسمات التيار الفلسطيني في القصة ، كما تواجدت او فرضت وجودها في قصص محمد علي طه « جسر على النهر الحزين » .

يقوم الشكل الاقصوصي عند محمد علي طه على استنفاذ كامل للحس الكلاسيكي . في الوقت الذي يحاول فيه ان يعتصر قيما واقعية جديدة في التعبير والاداء الفني . فالنمط التكنيكي عنده هو نمط معروف لا جديد فيه الا بالقدر الذي يفرضه مضمون القصة . فوسائط المعمار الفني لديه يمكن حصرها في عدة ايقاعات :

١ ــ القصة الدائرة : وهو النموذج الذي يتخذ من الايقاع او اللحن الدائري شكلا له . بمعنى ان الحدث في القصة يكون حلقة مكتملة . «فاللجنة» مثلا تبدأ بما كان ينبغي عليها ان تنتهي به . المختار وقد غيظ كثيرا من فشله في الانتخابات ، هذه شرارة تضيء الحدث فيبدأ التسلسل الزمنيبالعودة الى الوراء . وهنا ينقطع دفق الزمان لكي يقف الكاتب عند بعض اللحظات فيحللها نفسيا ، يرسم صورة دقيقة لما يمور من تيارات شعورية داخل الشخصية . وفي الوقت ذاته يمرج الكاتب علسى لقطات حوارية يستهدف منها تصوير الطبقة الاجتماعية من الداخل ، وعبر نماذجها الاكثر تفتحا واستنارة . ثم تستمر حركة الزمان في القصة الى الخلف والى الامام بحيث تندفع جميع هذه النبضات نحو نهايةمحتومة يفرضها المنطق الواقعي. ويسقط المختار حسن عبد القادر في الانتخابات وينتصر الشاب ابن رباح . وهنا لا بد ان يستعيد القارىء بداية القصة : « لو ان مختار بلدنا ، حسن عبد القادر ، طق ومات ، في ذلك اليوم ما لامه احد . وكيف يلومه الناس ، والذي حدث مساء ذلك النهار ، لم يتصور احد ان يحدث في يوم ما ... حتى حسن عبد القادر قال : ربما ان شيئا ما قد حدث في العالم منذ ان بدأ الكفار الروس والاميركان يرسلون السفن الى السماء .. وبصق » .

٢ ــ القصة الاعتراف : وهذا النمط يتجلى بشكل قوي للغاية في حكاية « المعركة » فهي اشبه ببوح نفسي ذاتي رغم ان الشخصية تدلي به في ساحة محكمة . والعبارات الاولى في القصة توضح لنا مدى الاحساس بهذه القناعة لديها : « ان احد ابناء بلدنا ــ يا سيدي القاضي ــ اعتاد دائما ان يقول : خرب بيتك وعلم ابنك . وهذا صحيح وحياة روح امي .. فالقضية قد اكتشفها لي احد اولاد المدارس قبل وقوعها ، وقال لي : احذر يا عباس .. لكن الرصاصة عندما تنطلق لا ترد . والمكتوب على الجبين لا بد من ان ينفذ . « ان الفقرة السابقة ، المأخوذة ، من بداية قصة المعركة تكشف عن الطريق المتميز الذي يسلكنا فيه القاص محمد علي طه . ومع استمرار الحديث يزداد طابع الاعتراف فيه .

٣ ــ القصة الحكاية : وهذا النمط قصصي يقوم على الاستفادة من الحكاية الشعبية . وتذكرا بما قلناه عن تميز التناول الفولكلوري في قصص الارض المحتلة نكرر التالي : وهو ان الكاتب ــ هنا ــ لا يلتزم بالفولكلور نصا وروحا . بل يغفل النص ويبقي على الروح . وحتى الروح هذه فانه لا يبرزها من خلال السرد القصصي ، او الحوار القصصي ، بل تبقى مثل شيء خفي تستند عليه القصة ، وهو اشبه ما يكون بالثور الذي لا نعرف عنه شيئا لكنه يحمل الدنيا على قرنيه .

من هنا فان دلالة الحكاية المسماة « حكاية ابريق الزيت » تفرض وجودها على القصة شكلا ومحتوى من غير ان يذكر لنا الكاتب شيئا عنها . فالانخراط في صفوف المقاومة ــ الذي تدور حوله القصة ــ هو عمل تكراري يستمر حتى تتحرر فلسطين . وهو تكرار واع . وربما كانت المفارقة بين الحكاية الشعبية الاصلية وبين القصة تكمن في هذه النقطة. فالتكرار في الحكاية الشعبية شبيه بالروتين . وهو استمرار عابث . اما هنا فهو استمرار مقصود ، ومرتبط بمرحلة تاريخية تعبرها الجماهير بثقة وقوة واطمئنان .

٤ ــ هنالك نمط اخر يلجأ اليه محمد علي طه في بعض اقاصيصه وهو قصة الرمز . والرمز عند